فصل
فى ملوك العراق

ملوك العراق هم المناذرة بنو عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى كانوا عُمّالًا للأكاسرة على عرب العراق وكانت دولتهم من أعظم دول ملوك العرب وكان مقامهم بأرض الحيرة على ساحل الفرات مسافة فرسخٍ واحدٍ عن الكوفة وكان أول من ملك على العرب فى أرض الحيرة مالك بن فهم بن غنم بن وس بن غرثان بن عبد الله بن وهزان بن كعب بن الحرث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد وهو من ولد كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ملكه فى أيام ملوك الطوايف الذين أقامهم الإسكندر على قبائل العرب قبل الأكاسرة وكان منزله بالأنبار فأقام بها إلى أن رماه سُلَيمة بن مالك بسهمٍ فأصاب مقتله ولما علم أن سلَيمة راميِه أنشد يقول:

❖ جزانـــى لا جـــزاه الله خـــيرًا ســـليمة أنـــهُ شـــرًّا جزانـــى ❖
❖ أعلّمـــهُ الرمايـــة كـــلَّ يـــومٍ فلمـــا اشـــتدَّ ســـاعدهُ رمـــانى ❖

والأنبار بلدةٌ قديمةٌ على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ وإنما قيل لها الأنبار لأن ملوك الأكاسرة كانوا يخزنون فيها الطعام وقد تواترت الروايات أن أول من استنبط الكتابة بالعربية مُرَامِر بن مرَّة الأنبارى ومن الأنبار انتشرت الكتابة فى الناس وذكروا أن قُرَيشًا سُئلوا من أين لكم الكتابة فقالوا من الحيرة وقيل لأهل الحيرة من أين لكم الكتابة فقالوا من الأنبار وقيل أن الذى قنل هذه الكتابة من الحيرة إلى الحجاز هو حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى

وكان قد قدم إلى الحيرة فعاد إلى مكة بهذه الكتابة وقيل لأبى سفيان بن حرب ممن أخذ أبوك هذه الكتابة فقال من أسلم بن سدرة وقيل لأسلم ممن أخذت الكتابة فقال من واضعها مُرارة بن مرَّة وكان وضع هذه الكتابة قبل الإسلام بمدة يسيرة وكان لحمير كتابةٌ تسمى المسند كانت حروفها تُكتَب منفصلة لا يتصل بعضها ببعضٍ وكانوا يمنعون العامَّة من تعلمها فلا يتعاطاها أحدٌ إلا بإذنهم انتهى * ولما مات مالك بن فهم المذكور ملك بعده أخوه عمرو بن فهم وفى أيامهِ كان ميلاد المسيح فى بيت لحم وذلك سنة ثلثماية وثلثين من تاريخ الإسكندر بعد خليقة العالم بأربعة آلاف وأربعة سنين ولما توفى عمرو بن فهم المذكور ملك بعده ابن أخيهِ جذيمة بن مالك بن فهم وكان شديد الوطأة ظاهر الحزم وهو أول من غزا بالجيوش وشنَّ الغارات على قبائل العرب وكان به برصٌ فقيل لهُ جذيمة الأبرص فلما عظم أمره قيل له الأيرش كنايةً عنه وربما قيل له جذيمة الوضَّاح تلطُفًا فى اللفظ لأن الوَضَح بمعنى البرَص وساتولى جذيمة من السواد إلى ما بين الحيرة والأنبار وجميع القرى المجاورة لبادية العرب فكان يتولى أمورها ويجنى أموالها وطالت مدته وشاع ذكره فى كل مكانٍ وعظم شأنه وخافت من سطوتهِ العرب وكان لهُ أختٌ يقال لها رَقَش وكان يحبها ويرفع منزلتها فهويَت عدى بن نصر بن ربيعة الأيادى وكان جذيمة قد اسطنعه وسلَّم إليه مجلس شرابه فقالت لهُ يا عدى إذا سقيت الملك فأخذ الشراب منه فاخطبنى إليه فإن أجابك فاشهد القوم ففعل عَدِى كذلك ثم انصرف إليها وقال قد أنعم الملك بما سألته فقالت إذن أدخل بأهلك فدخل بها وأصبح مضَّرجًا بالخلوق فقال جذيمة ما هذه الآثار يا عدى قال آثار عرس رقاش التى زوَّجتنى بها البارحة فأطرق جذيمة إلى الأرض وعرف عدى الشرَّ فى وجههِ فعمد إلى الفرار ودخل جذيمة إلى رقاش وهو يقول*

خبرينى وأنتِ غير كذوبٍ أَبِجرٍّ زنيتِ أم بهجينِ

أم بعبدٍ فأنتِ أهلٌ لعبدٍ أم بدونٍ فأنت أهلٌ لدون

فقالت رقاش لا والله بل زوجتنى كفًوا كريمًا من أبناءِ الملوك فنقلها جذيمة إليه

وحصنها فى قصرهِ وكانت قد علقت بولدٍ فلما حان وضعها ولدت غلامًا وسَّمته عمرًا وربته حتى ترعرع فأنِفَ جذيمة منه ورده عن وجههِ فهام فى البرية وكان عمره تسع سنين ولما فقدته أمه اشتدَّ حزنها عليهِ فقلق جذيمة لذلك وندم على طردهِ وأرسل فى طلبهِ رجالًا فى كل ناحيةٍ فلم يقع له على أثرٍ وما زال جذيمة بطلبه زمانًا ونذرت أمه رقاش أن ردّهُ الله عليها أن تطوِّقه بطوقٍ من ذهب وجعل جذيمة لمن يأتيهِ بهِ ما يتمناه فطلبته العرب برغبةً فى ذلك ولم يجده أحد ومضى على ذلك سبع سنواتٍ فاتفق أن وف على جذيمة مالك بن فارج وأخوه عقيل من بنى قضاعة فى حاجةٍ لهما فنزلا فى بعض الطريق ومعهما امرأة يقال لها أم عمرٍو فقدمت إليهما طعامًا وجلسا يأكلان وإذا هما يفتىً حسن المنظر عريان لا يستتر بشيء وقد طال شعره على وجههِ وطالت أظفاره حتى صارت كالمخالب فدنا منهما واستأذن أن يجلس معهما على الطعام فأذنا له وجعلت أم عمرٍو تسقيهما ولا تسقينه فقال:

صددتِ الكأس عنا أمَّ عمرٍو ... وكان الكاس مجراها اليمينا

وما شرُّ الثلثة أمَّ عمرٍو ... بصاحبك الذى لا مصحبينا

فقالت المرأَة لا تطعم العبد الكراع فيطمع فى الذراع فأرسلتهما مثلًا وكان قد خامر نفس الرجلين أنهُ ابن أخت الملك فاستعرفاهُ وإذا هو كذلك فقصا شعرهُ وقلما أظفارهُ وألبساهُ من خير ثيابهما وأقبلا به حتى دخلا على جذيمة فسرَّ به وقال أن للقضاءِ عينين قد علتُ لمن أتانى بهِ حكمهُ فاحتكما فقالا قد احتكمنا عليك منادمتك ما بقينا وبقيت قال ذاك لكما فكانا نديميهِ حتى مات وفى ذلك يقول متمم بن نوَيرة ❋

لقد لَفَّتِ المنهال تحت ثيابهِ ... فتىً غير مبطان العشيَّات أَروَعَا

وكنا كندمَانى جذيمة حُقبةً ... من الدهر حتى قيل لن نتصدعا

فلما تفرَّقنا كانى ومالكًا ... لطول اجتماع لم تبت ليلةً معا

قيل أنهما نادماهُ أربعين سنةً لا يفارقانِه حتى ضُرِب بهما المثل وأدخل جذيمة

عمرًا على أمهِ رقاش فأخذتهُ وجعلت فى عنقهِ الطوق الذى نذرته لهُ وكان فى أيام جذيمة قد ملك الجزيرة وأعالى الفرات رجلٌ من العمالقة يقال لهُ عمرو بن الظرب بن حسان العيلقى فجرت بينهُ وبين جذيمة حروبٌ كثيرة وانتصر جذيمة على عمرو فقلهُ وكان علمرو بانةٌ تسمى نايلة وكانت تلقَّب بالزَباءِ لكثرة ما عليها من الشعر فملكت بعد أبيها وبَنت على الفرات مدينتين متقابلتين وأخذت فى الحيلة على جذيمة لعلها تدرك منه ثأر أبيها فكتبت إليه أن النساءَ لا تصلح للملك ولا تقوم بحق السياسة وأنها لم تحجد لملكها موضعًا ولا لنفسها كفوًا غيرهُ ودعتهُ أن يقدم إليها لتجمع ملكها إلى ملكهِ وتقلّدهُ أمرها فلما أتى كتابها جذيمة استخفهُ الطمع وجمع أهل الرأى من ثقاتهِ وهو يومئذٍ فى مكانٍ على شاطى الفرات يقال له بَقَّة واستشارهم فى ما دعتهُ إليهِ فأجمع رأيهم على المسير إليها وكان عنده قصير بن سعد اللخمى وكان حازمًا لبيبًا فأنكر ما أشار بهِ القوم وقال رأى فاتر وغدرٌ حاضر ونهى جذيمة عن ذلك وقال الرأى أن تكتب إليها فإن كانت صادقةً فلتُقبل إليك وإلا فلا تمكنها من نفسك ولا تقع فى حبائلها وقد وترتها بقتل أبيها فلم يلتفت جذيمة إلى قولهِ ومضى وقد استخلف ابن اختهِ عمرًا على ملكتهِ وجعل معهُ عمرو بن عبد الجن على خيلهِ وسار جذيمة فى وجوه أصحابه على شاطى الفرات من الجانب الغربى فلما نزل دعا قصيرًا وقال ما الرأى يا قصير فقال ببقة خلفتَ الرأى فذهبت مثلًا ومضى جذيمة حتى دخل عليها وهى فى قصرها فأمرت جواريها فاجتمعن عليه ليكفنه فامتنع عليهنَّ فلم يزلن يضربنه بالأعمدة حتى تهشم فأرثته وأجلسته على نطع وأمرت بهِ فقُطِعت رواهشه وجعلت دماؤهُ تشخب فى طستٍ أعدتهُ له لأن الملوك لا تقتل بضرب الأعناق إلا فى الحرب تكرمةً للمُلك ولما ضعفت يداه سقطتا فجعل دمه يقطر على الأرض حتى مات ولما أحسَّ قصيرٌ بقتلِه احتال حتى ركب العصا فرس جذيمة وانطلق يعدو وكان عمرو بن عدى يركب كل يوم فيأتى طريق الحيرة ملتمسًا خبر خالِه فبينما هو ذات يوم إذ نظر إلى فارسٍ قد أقبل فلما دنا عرف الفرس فقال ما وراءِك يا قصير قال قُتِل والله خالك فاطلب ثأرك من الزباء العفلاءِ فقال عمرٌو من لى بها وهى أمنع من عقاب الجوِّ فذهب قوله مثلًا ولما علم

قصير أن عمرًا لا يقدر عليها عمد إله أنفهِ فقطعهُ ثم ركب وسار نحو الحيرة حتى أتى الزُباءَ فاستأذن عليها وقال أيتها الملكة إن عمر بن عدى قد فعل بى ما ترين بزعم أنى أشرت عليكِ بقتل خالهِ وقد خفت أن يقتلنى ففررت إليكِ لأخدمك واستأمن على نفسى وستجدين عندى كفايةً فى كل ما تفوّضينه إلى وكانت قد أمرت بأصحاب جذيمة فقتلوا عن آخرهم وطلبت قصيرًا فلم يُلحق ولما رأته حينئذٍ كذلك اغترَّت بصدقهِ فَعفت عنه وقالت له أَقم فلك عندى كل ما تحبُّ وفوضت إليهِ نفقتها فأراها النصح والاجتهاد فى قضاء حوايجها ورأت منه الشهامة فأقام عندها حولًا ثم قال لها يا سيدتى إن لى بالعراق مالًا أريد أن أخرج إليه فأذنت له ودفعت إليهِ مالًا يشترى لها بهِ ثيابًا من الخز والوشى وقطعًا من الياقوت والمسك والعنبر فانطلق حتى أتى عمرو بن عدى فأخذ منه ضعف ما لها واشترى لها ما أمرته بهِ وانصرف إليها فظنت أن ذلك كله اشتراه بمالها فاستخصته وردجّضته الثانية والثالثة وهو يفعل كذلك فوقع من قلبها موقعًا جليلًا حتى بعثت به فى المرَّة الرابعة بمالٍ زيلٍ وأمرته أن يشترى لها أمتعة كثيرة فانطلق إلى عمرو وقال قد قضيت ما على وبقى ما عليك قال ماذا على فقال أخرج معى بالرجاتل فى الرحال فاختار عمرٌو ألف رجلٍ من أصحابهِ وخرجوا معه بسيوفهم فى الصناديق فكان يسير بهم فى النهار وإذا أمسى أخرجهم حتى إذا كان على ميلٍ من مدينتها تقدَّم حتى دخل عليها وقال اصعدى أعلى القصر لتنظرى ما أتيتكِ بِه فصعدت تنظر من أعلى قصرها فرأت ثقل الأحمال فأنشدت تقول *

**** ما للجمال مشبها وئيدا **** أجندلًا يحملن أم حديدا ****

**** أم صَرَفانًا باردًا شديدا ****

قال قصير فقلت فى سري بل الرجال رُبضًا قعودا

ثم أمرت بالرحال فأدخلت قصرها وقت مساءٍ وقالت إذا كان الغد نظرنا إلى ما أتيتنا بهِ فلما جنَّ عليهم الليل فتحوا مكامنهم وخرجوا من الصناديق وفى أيديهم السيوف فقتلوا جميع من كان فى القصر من جواريها وكان لها سربٌ فى ناحية من

قصرها قد أعدَّته لخوف يحلُّ بها لتخرج من المدينة وكان قصير قد عرفه ووصفه لعمرٍو فصار إليها بالسيف فقطعها إربًا وغنم ما فى مدينتها وانصرف إلى أرضهِ وهو يقول *

الأيـــا أيهـــا الغـــرُّ المرحّـــى ... ألم تـــسمع بخطـــب الأوَّلينـــا
دعـــا بالبقـــة الـــوزراءَ يومًـــا ... جذيمـــة يستـــشير الناصـــحينا
فطـــاوع أمـــرهم وعـــصى قـــصيرًا ... وكـــان يقـــول لـــو نفـــع اليقينـــا
لقد خطب الذى غَدَرَت وخانت ... وهُنَّ ذوات غدرٍ يزدهينا
فخطبـــت فـــى صـــحيفتها إليـــه ... ليملـــك بـــضعها أو أن يـــدينا
ففاجاهمـــا وقـــد جمعـــت جموعًـــا ... علـــى أبـــواب حـــصنٍ مـــصلتينا
وحكَّمـــتِ الحديـــدَا براهـــشيهِ ... فأضـــحى قولهـــا كـــذبًا ومينـــا
وخـــبرت العـــصا الأبنـــاءَ عنـــهُ ... ولم أرَ مثـــل فارســـها هجينـــا
فبـــات نـــساؤهُ ثُكلًـــا عليـــهِ ... مـــع الأبنـــاءِ يُعلـــينَ الأنينـــا
فـــوَلى أنفـــهُ الموســـى قـــصيرٌ ... ليخـــدعها وكـــان بـــهِ ضـــنينا
مخاتلـــة ابنـــة الريَّـــان مكـــرًا ... فاذهـــل عقلـــها الـــوافى الرصـــينا
أتتهـــا العـــير تحمـــل مـــا دهاهـــا ... رجالًـــا فـــى المـــسوح مـــسومينا
وفاجاهـــا علـــى الاتفـــاق عمـــرٌو ... بـــشكتهِ ولم تخـــش الكمينـــا
فجللـــها عتيـــق الحـــدَ غـــضبًا ... يـــشقُ بـــهِ الخواجـــب والجبينـــا
ألم تـــرَ أن ريـــب الـــدهر يـــؤذي ... ويـــورد للفتـــى الحـــين المبينـــا
ولم تـــر لاهيًـــا يلـــهو بـــشيءٍ ... ولـــو أثـــرى ولـــو ولـــد البنينـــا

وكانت مدة ولاية جذيمة ستين سنة وتولَّى بعدهُ ابن أخته عمرو بن عدى وكان يغزو المغازى ويصيب الغنايم وتجتنى إليه الأموال وكان مدة ملكه إلى أن مات ثمانين سنة ولما توفى عمرو قام بعده بالملك ابنه امرءُ القيس بن عمر بن عدى وكانت

أمهُ مارية بنت عمرو الأزدى وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ولما توفى امرءُ القيس ملك بعدهُ ابنهُ عمروٌ أمهُ هند بنت كعب بن عمرو كان عالى الهمة شديد الباس شاعرًا فصيحًا ومن محاسن شعره قوله من جملة قصيدة ❊

نحن المكيثون حيث يحمدنا الـ ـمكث ونحن المصابر الأنفُ
والحافوا عروة العشيرة لا يأتيهم من وراينا وَكَف
والله لا تزدهى كتيبتنا أسد عرين مقيلها الغُرَفُ
إذا مشينا فى الفارسى كما تمشى جمالٌ صاعبٌ قضفُ
نمشى إلى الموت من حفايظنا مشيًا ذريعًا وحكمنا نصفُ
ونصدر الخيل وهى حاملةٌ تحت صواها جماجمٌ خففُ

وكان ملكه ستين سنة ثم ملك بعده أو بن قلام العمليقى فخرج الملك حينئذٍ من آل بيتهِ غير أنهُ لم يقم من العماليق سوى ملك آخر حتى رجع الملك إلى بنى عمرو بن عدى فملك منهم امؤُ القيس من ولد عمر بو امرءِ القيس المذكور آنفًا وكايُلقب بالمُحرِق لأنه أول من عاقب بالنار وكان ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده ابنه النعمان الأعور وهو الذى بنى الخورنق والسدير وأمهُ شقيقة بنت أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة وكان من أشد ملوك العرب نكايةً فى الأعداءِ وأبعدهم مغارًا غزا الشام مرارًا كثيرة وأكثر المصايب فى أهلها وسبى وغنم كثيرًا من الأموال وهو الذى نهض بثأر الضير بن الغسَّانى وأخذ دِينه ماية ألف دينار من سابور ذى الأكتاف وكان صارمًا حاذمًا ضابطًا لملكهِ واجتمع له من الأموال والذخائر ما لم يجتمع لأحدٍ من ملوك الحيرة وإليهِ يشير المنخَّل اليشكرى فى قولهِ ❊

وإذا سكرت فإنني ربُّ الخورنق والسديرِ
وإذا صحوت فإنني ربُّ الشوَيهةِ والبعيرِ

ولما أتى على الملك النعمان ثلثون سنةً فى الملك صعد على مجلسهِ فى الخورنق وتأَمل فى الملك الذى له والأموال والذخاير التى عنده فقال فى نفسه أى خيرٍ فى هذا

الذى ملكته اليوم ويملكهُ غيرى غدا وزهد فى الملك فبعث إلى حجابهِ ونحاهم عن بابه حتى إذا جنَّ الليل التحف بكساءٍ وساح فى الأرض فلم يَرَهُ أحدٌ بعد ذلك وبقى فى سياحتهِ ثلثين سنة إلى أن مات وإليهِ أشار عدى بن زيد التميمى حيث يقول ❊

أين كسرى تاج الملوك بين سا ... سان أم أين قبلهِ سابورُ
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة ... تُجبى إليهِ والخابورُ
شادهُ مرامرًا وجللهُ تبرًا ... وللطير فى ذاره وكورُ
وتذكر ربَّ الخورنق إذا شرف ... يومًا والمهدى تفكيرُ
سَرَّهُ ما لهُ وكثرة ما يملك ... والبحر معرضٌ والسيدرو
فارعوى قلبه فقال وما غبطة ... حى إلى الممات بصيرُ
ثم بعد الفلاح والملك والأمَّة ... وارتهُمُ هناك القبورُ
ثم صاروا كأنهم وَرَقٌ جَفَّ ... فألوَت بهِ الصبا والدبورُ

آل محرّق وفيهم يقول الأسود بن يعفر الدارمى بعد نكبة الأكاسرة لهم ❊

ماذا نؤمل بعد آل محرِّقٍ ... تركوا منازلهم وبعد أيادِ
أهل الخورنق والسدير وبارقٍ ... والقصر ذى الشرفات من سندادِ
نزلوا بأنقرةٍ يسيل عليهم ... ماءُ الفرات يجيءُ من أطوادِ
جرت الرياح على رسوم ديارهم ... فكأنهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشةٍ ... فى ظلِّ ملكٍ ثابتٍ الأوتادِ
فإذا النعيم وكلُّ ما يلهى بهِ ... يومًا يصير إلىَ بلىً ونفادِ

ولما تزهد النعمان الأعور واعتزل بنفسهِ عن الملك تولىَّ ابنه المنذر بن النعمان وأمه هند بنت ذيد مناة الغسانى فأقام المنذر على ملكهِ أربعًا وأربعين سنةً ثم توفى فملك بعده ابنه الأسود وكان مغوارًا فاتكًا وهو الذى انتصر على بنى غسان عرب الشام

وأسر عدة من ملوكهم فقتل بعضهم وعفا عن بعضٍ وكانوا قد قتلوا ابن عمٍ له فى بعض الوقايع وله أخٌ يقال له أبو أذينة فلما رأى الأسود يريد أن يعفو عن أسراهم وقف عليهِ وأنشأ يقول:

ما كلُّ يومٍ ينال المرءُ ما طلبا ... ولا يسوغهُ المقدار ما وهبا
وأحزم الناس من أن فرصةٌ عرضت ... لم يجعل السبب الموصول مقتضبا
وأنصف الناس فى كل المواطن من ... سقى الأعادى بالكأس الذى شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم ... بحدّ سيفٍ بهِ من قبلهم ضربا
والعفو إلا عن الأكفاءِ مكرمةٌ ... من قال غير الذى قد قتلهُ كذبا
قتلت عمرًا وتستبقى بزيد لقد ... رأيت رايًا يجرَّ الويل والحربا
لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها ... إن كنت شهما فابتع رأسها الذنبا
هم جردوا السيف أجعلهم له جزرا ... وأوفدوا النار فاجعلهم لها حطبا
إن تعفُ عنهم يقول الناس كلهم ... لم يعفُ حلمًا ولكن عفوُ رَهَبا
هُمُ أَهِلةُ غسَّانٍ ومجدهمُ ... عالٍ فإن حاولوا مكلًا فلا عجبا
قد عرَّضوا بغداءٍ واصفين لنا ... خيلًا وابلًا تروق العجَم والعربا
أن لون دمًا منا ونحلبهم ... رسلًا لقد شَرَفونا فى الورى حلبا
على مَتقبل منهم فديةً وهمُ ... لا فضةً قبلوا منا ولا ذهبا

وأقام الأسود فى الملك عشرين سنة ثم توفى فقام مكانه على الملك أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان الأعور وكان ملكه سبع سنين ثم ملك بعده النعمان بن الأسود وكان ملكه أربع سنين ثم ملك بعده يعفر بن علقمة الذميلى من أحد بطون بنى خم وذلك سنة خمسماية وثلث للمسيح وكان ملكه ثلث سنين فملك بعده امرءُ القيس بن النعمن بن امرء القيس المحرق وهو الذى غزا بنى بكر يوم أوارة فى ديارهم وبنى الحصن المعروف بالصِنْبر الذى يقول فيهِ الشاعر *

ليست شعرى متى تخبُّ بنا النا ... قة نحو العُذَيب والصنبرّ

وقتل سنمار الرومى الذى بناه له حين فرغ من بنايهِ وفيهِ يقول الملتمس ❊

جزتنا بنو سعدٍ بحسن فعالنا ... جزاءَ سِنِمَّارٍ وما كان ذا ذنب

وقيل أن سِنمار بنى الخورنق للنعمان بن امرء القيس بظاهر الكوفة فلما فرغ من بنايهِ ألقاه من أعلاه فخر ميتًا ليلا يبنى لغيرهِ مثله فضُرِب بهِ المثل قال بعضهم ❊

جزى بنوهُ أبا الغيلان من كبرٍ ... وسوء فعلٍ كما جوزى سِنمارُ

وفى زمان امرء القيس بن النعمان المذكور كثر النصارى فى مملكة الفرس وظهرت النصرانية جدًّا فى العراق وكان ملكه خمسًا وعشرين سنة ثم ملك بعده ابنه المنذر وكانت أمه ماوية بنت عوف بن جشم وقيل بن هى بنت ربيعة التغلبى أخت كليب والمهلهل وكانت تُلقَب بماءِ السماءِ لجمالها وقد غلب لقبها على المنذر فقيل له المنذر بن ماء السماء وبعدما استولى المنذر على ملك أبيهِ طرده قبَّاذ كسرى عن الملك وأقام مكانه الحرث بن عمرو بن حجر الكندى الذى يقال له آكِل المرار وكان الحرث قد وافق كسرى على دينهِ بخلاف المنذر فَولَّاه ملك الحيرة مكانه وكان ملك المنذر اثنتين وثلثين سنة ولما توفى ملك ابنه عمرو بن هند وهى أُمَّهُ وإليها ينسب وكان جلوسه على سرير المملكة سنة خمسماية واثنين وستين للمسيح وكان مقدامًا شديد السلطان كثير المغازى مهيبًا وكانت العرب تسميه مضرط الحجارة لشدة ملكه وهو الذى غزا بنى تميم فى ديارهم فأوقع بهم وكان السبب فى ذلك أن عمرًا كان له أخٌ من أمه يدعى مالكًا نازلٌ فى بنى دارم وهم حى من تميم عند زرارة بن عدس وكان عمرٌو قد ضمه إليه ليحسن أدَبه وكانَ القوم يومئذٍ نازلين بأوارة وهو مكانٌ بالقرب من البحرين فاغتاله أحدهم سويد بن ربيعة يومًا وقتله لجل ناقةٍ له كان مالكٌ قد نحرها وغمض خبره زمانًا فبلغ بنى طى ذلك وكان فيهم عمرو بن ثعلبة الفارس المشهور فكتب إلى عمرو بن هند يعمله بقتل أخيهِ ❊

مـــن مبلـــغ عمـــرًا بـــأن المـــرء لم يخلـــق صـــباره

وحـــــوادث الأيـــــام لا تبقـــى لهـــا إلا الحجـــارة

أن ابـــن عجـــزة أمـــه بالـــسفح أســـفل مـــن أواره

تـــسقى الريـــاح خـــلال كـــشحيه وقـــد ســـلبوا أزاره

فاقتـــــــل زرارة لا أرى فـــى القـــوم أفـــضل مـــن زراره

فلما وقف عمرو على هذه الأبيات ثارت بهِ الحمية وجمع أهل مملكتهِ وسار طالبًا القوم حتى أتى ديارهم فغزهم وقتل أكثرهم وكان سويد وزرارة قد بلغهما خبر قدومهِ فتفرقا فى نواحى البلاد قلم يقدر أن يقف لهما على خبر وكان لسويد سبعة أولادٍ فقتلهم وكانت امرأة زرارة حاملًا فعلا بالسيف بطنها فشقها ثم أن عمرًا حلف أن يحرق منهم ماية رجلٍ بثار أخيهِ وجعل يلتمس من ثأر منهم فى تلك الأطراف ويلقى فى النار من وقع فى يدهِ حتى أدرك تسعة وتسعين رجلًا وتعذَّرت عليه تتمةُ المايةِ ولما كان ذات يوم آخر النهار أقبل راكبٌ يقال له عمار وكان من البراجم وهم قومٌ من بنى تميم واتفق أن عمرًا كان قد ألقى رجلًا فى النار فسطع الدخان وفاح القتار فظنَّ ذلك مأدبةً للطعام فأسرع إليها حتى أناخ إلى عمرٍو فقال عمرٌو ممن أنت قال من البراجم قال فبماذا أجيت قال سطع الدخان وأنا جايعٌ فظننتُه طعامًا فقال عمرٌو أن الشقى وافد البراجم فذهبت مثلًا وأمر بهِ فأُلقى فى النار وصار ذلك عارًا لبنى تميم بحبِّ الطعام قال الشاعر *

إذا مـــات حـــى مـــن تمـــيم وســـرَّك أن يعـــيش فجـــيء بـــزادِ

تـــراه ينقـــب الآفـــاق حولًـــا ليأكـــل رأس لقمـــان بـــن عـــادِ

وفى السنة التاسعة من ملك عمرو المذكور ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الشريعة الإسلامية وعمرو بن هند هو الذى أصلح بين بنى بكر وتغلب بعدما تفانوا فى حرب البسوس وأقام بالملك اثنتى عشرة سنة ثم قتله عمرو بن كلثوم التغلبى الشاعر لسببٍ يطول شرحه وتولىَّ بعده أخوه قابوس بن المنذر من هند بنت الحرت بن عمرو الكندى التى هى أم أخيهِ عمرو بن هند وكان

قابوس ضعيفًا مهينًا مولعًا باللهو والشراب والصيد وفيهِ يقول طرفة بن العبد البكرى:

لعمرك أن قابوس بن هندٍ ... ليخلط ملكه حمقٌ كثيرُ
قسمت الدهر فى زمنٍ رخيٍّ ... كذاك الحكم يقصد أو يجورُ
لنا يومٌ وللكروان يومٌ ... تطير الرايشات ولا نطيرُ
فأمنا يومهنَّ فيوم سوءٍ ... تطاردهنَّ بالخَرَب الصقورُ
وأما يومنا فنظلُّ فيهِ ... وقوفًا ما نحلُّ ولا نسيرُ

وأقام قابوس فى الملك خمس سنين ثم قتله رجل من بنى يشكر فملك بعده المنذر بن المنذر أخو عمرو بن هند وكان معتدل القامة صبيح الوجه كريمًا وكان ملكه ثلث سنين ثم ملك بعده ابنه النعمان بن المنذر بن ماء السماء وذلك سنة خمسماية وثلث وثمانين للمسيح وكان يكنى بأبى قابوس وهو الذى يقول فيه النابغة الذبيانى:

ألم أقسم عليك لتخبرني ... أمحمولٌ على النعش الهمامُ
فإنى لا ألومك فى دخولٍ ... ولكن ما وراءَك يا عصامُ
فإن يهلك أبو قابوس يهلك ... ربيع الناس والشهر الحرامُ
ونمسك بعده بذناب عيشٍ ... أجب الظهر ليس له سنامُ

وكانت أمُّ النعمان سلمى بنت وائل بن عطية الصايغ من أهل فدك وهى التى يقول فيها عمرو بن كلثوم التغلبى:

حلَّت سليمى بخبتٍ بعد فرتاجِ ... وقد تكون قديمًا فى بنى تاجِ
إذ لا ترجى سليمى أن يكون لها ... من بالخورنق من قينٍ ونساج
ولا يكون على أبوابها حرسٌ ... كما تلفف قبطى بديباج
تمشى بعدلين من لؤمٍ ومنقصةٍ ... مشى المقيد فى اليلبوت والعاج

وكـان النعـمان أحـمر أبـرش قصـيرًا ذميمًا سيء الخلق وهو الذى قتل داهلية العرب عبيد بن الأبرص الأسـدى فى يـوم بـوسهِ الـذى جعلـه على نفـسهِ حزنًا على نديميه اللذين قتلهما وكان أحدهما خالد بن المضال والآخـر عمرو بن مسعود وهما من بنى أسـد أغضـباه فى حـال سكـرهِ فأمـر أن يُحفَر لكل واحدٍ منهما حفرةٌ فى ظهـر الحيرة ويُدفَن بها ففُعِل بهما كذلـك ولما أصبـح النعـمان سأَل عنهما فأخبروهُ بخـبرهما فنـدم على ذلـك وحـزن عليهـما حزنًا شديدًا ثم أمر ببناءِ قبةٍ عليهما وجعل لنفسهِ يومـين من السنـة يجلـس فيهـما عنـد القـبة أحـدهما يـوم نعيم والآخر يوم بؤسٍ فكان أول من يطلع عليهِ يوم نعيمهِ يعطيهِ مايةً من الإبل وأولُ من يطلع عليهِ يوم بؤسه يقتله ويطلى بدمهِ تلك القبة وما زال على ذلك حتى مرَّ بهِ فى يوم بؤس أعرابى من طى يقال له حنظلة فأمر بقتلهِ فقال حيى الله الملك إن لى صبيةً صغارًا وأم أوصِ بهم أحدًا فإن رأيت أن تأذن لى فى إتيانهم وأعطيك عهد الله أنى أرجع إليك إذا أوصيت بهم فرقَّ له النعمان وقال لهُ اذهب ولكن بشرط أن يضمنك أحدٌ ممن معنا وكان مع النعمان وزيره شريك بن عمرٍو فنظر إليهِ الطاءِى وأنشد ❋

يـــا شـــريكُ بـــنَ عُمـــيرٍ	هـــل مـــن المـــوت محالـــه
يـــا أخـــا كـــلّ مـــصابٍ	يـــا أخـــا مـــن لا أخـــا لـــه
يـــا أخـــا النعمـــان فيـــك ال	يـــوم عـــن شـــيخٍ كفـــا لـــه
إن شـــــيبان قبيـــــلٌ	أكـــــرم الله رجالـــــه

فقال شريك على ضمانه أيها الملك فمضى الطائى وأحل أجلًا يأتى فيهِ فلما كان ذلك اليوم أحضر لنعمان شريكًا وجعل يقول له إن مضى هذا اليوم ولم يحضر الأعرابى جعلتك فداءً له لضمانك إياه وشريك يقول ليس للمالك على سبيلٌ حتى يمسى المساءُ فلما أمسى أقبل شخصٌ من بعيد والنعمان ينظر إليهِ وإلى شريك فقال شريك ليس لك على سبيلٌ حتى يدنو هذا الشخص فلعله صاحبى وبينما هما فى لكلالم إذ أقبل الطاءِى وهو يشتدُّ فى عدوه حتى وصل وقال خشيت أن ينقضى

النهار قبل وصولى فمُر أيها الملك بأمرك فأطرق النعمان برهة ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منك فماذا حملك على الرجوع إلى القتل قال دينى فإن من لا وفاءَ له لا دين له قال وما دينك يا أخا العرب قال النصرانية فقال أعرضها على فأعرضها فتنصَّر النعمان وأطلق الأعرابى وأحسن إليه وأبطل تلك السنة من ذلك اليوم وأقام النعملان فى الملك إلى أن قتله أبرويز كسرى بسبب قتلهِ عدى بن زيد العبَّادى ترجمان كسرى بينهُ وبين العرب وكان قتل النعمان سببًا لحرب ذى قار بين العرب والفرس على أثر ظهور الإسلام وكانت مدة ملك النعمان فى العراق اثنتين وعشرين سنة ولما قتل النعمان أقام أبرويز كسرى مكانه فى الحيرة إياس بن قبيضة الطاءى وذلك سنة ستماية وخمس للمسيح وكان إياس من أشراف طى فصيحًا جوادًا مشهورًا بالشجاعة عالما بأيام العرب ووقايعهم وأكثر شعره فى الحماسة ومنه قوله ❊

وما ولَدَتنى حاصنٌ رَبَعيَّةٌ ... لئن أنا مالأت الهوى لاتباعها

ألم ترَ أن الأرض رحبٌ فسيحةٌ ... فهل معجزنى بقعةٌ من بقاعِهَا

ومبثوثةٍ بَثَّ الدَّبا مُسبطرةٍ ... رددتُ على بطايها من سراعها

وأقدمتُ والخطى يخطر بيننا ... لأعلم مَن جَبانُها من شجُاعها

وأقام إياس بالملك إلى أن وقعت حرب ذى قار وظفرت العرب بالفرس فانهزم إياس مع المنهزمين وعاد الملك إلى أهله فملك الأسود بن المنذر أخو الملك النعمان وفى أيامهِ اشتهر الحرث بن كلدة الثقفى بالطب أخذ ذلك عن أهل جند سابور وكانت العرب تقصده من أماكن بعيدة فيستوصفه من كان بهِ علة ثم ملك بعد الأسود المذكور المنذر بن النعمان بن المنذر بن ماءِ السماءِ الملقب بالمغرور وكانت أمه المتجردة بنت زهير بن جذيمة سيد بنى عبس وقيل اسمها هند والمتجردة لقب لها وفيها يقول المنخَّل اليشكرى ❊

يا رُبَّ يومٍ للمنخل ... قد لها فيهِ قصيرِ

يا هند هل من نائلٍ ... يا هند للعانى الأسيرِ

واستمرَّ المنذر على ملك الحيرة إلى أن قتل بالبحرين يوم جوّاثى وكان يلقب بالمغرور وهو آخر ملوك اللخميين الذين كانوا عمالًا للأكاسرة على عرب العراق واستولى بعد المنذر خالد بن الوليد تحت راية الإسلام وأخذت من هنالك دولة المسلمين ❋

obeikandl.com